المذبوح.. أيس سيذهب؟ وماذا سيفعل بعد خيبة أمله فيها؟ إنه سيعود إلى عالمه الحالم الصافي وإلى حياته الشبيهة بحياة الصوفيين، إنه سيهرب من المرأة إلى شبحها، إنه سيعود إلى سمائه المنزهة عن أدران الأرض وشرورها، ليبني هنالك شيئاً جميلاً ثابتاً؛ «إذ لا ينبغي أن نبني شيئاً جميلاً فوق هذه الأرض. هذه الأرض المتغيرة المتحركة برمالها ومائها ودوائها»[46]. نعم، إنه سيرتفع إلى سمائه ليعيش في قصره السحري الذي يشيده بموسيقى «بتهوفن»، و«فاجنر» خاصة، ويساعده في تشييده صديقه «إيفان» الروسي المريض، ذلك الفيلسوف الفنان الذي يمقت الواقع أشد المقت، ويتغنى بالخيال والأحلام والروح، ويرى أن الفرق الوحيد بين الحيوان والإنسان إنما هو الخيال، وأن «اليوم الذي يستطيع فيه الحيوان أن يحيا دقيقة واحدة خارج الواقع والمادة يكون آخر عهده بالحيوانية»[47]، وبحمل حملة شعواء على «كارل ماركس» الذي ألقى قبلة «المادية والبغضاء واللهفة والعجلة بين الناس، يوم أفهم الناس أن ليس هنالك غير «الأرض» - يوم أخرج «السماء» من الحساب»[48].

ولكن ماذا سيفعل الفتى «محسن» بآلامه التي سببتها له «سوزي»، تلك الفتاة الأنانية التي اتخذت منه وقوداً لإشعال نار الغيرة في قلب حبيبها «هنري»، تلك الفتاة التي حسبته لعبة في يديها؟؟.

إن الفرق بين الفنان وغيره من الناس يكمن في مقدرة الفنان على تحويل آلامه إلى فن يؤثر في الآخرين، فهو يتخذ من آلامه وسيلة للخلق والإبداع، أما آلام الآخرين فإنها عقيمة تعتصرهم دون أن يستفيدوا منها كما يستفيد الفنان، ولهذا فإنا نرى «محسناً» يسهر إلى الفجر ليصب آلامه على الورق، ويخرج لنا صفحات مشرقة في الأدب.

وهكذا نرى كيف استطاعت شخصية «سوزي» أن تحرك «محسناً» وتدفعه إلى الكتابة بفضل خيبة ظنه فيها.

وبالطريقة نفسها يستلهم توفيق الحكيم المرأة في كل من «الرباط المقدس» و «وجه الحقيقة».